

الملخص

يكشف البحث عن أصالة المنهج اللغوي الاجتماعي عند العرب، ويكشف عن القوانين اللغوية التي تسير عليها اللغة كالتغير والانقسام، والتراث العربي سبق الدرس اللغوي الحديث إلى النظر في اللغة بصفاتها ظاهرة اجتماعية، ووظيفتها في المجتمع.

Abstract

The search reveals the originality of the social linguistic approach among the Arabs and reveals the linguistic laws of the language, such as change and division, and Arab heritage. The modern linguistic lesson has been to consider the language as a social phenomenon and its function in society.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد، فهذا البحث في صلة اللغة بالمجتمع عند العرب، ويلقي الضوء على خيوط تتسج منهجاً اجتماعياً في درس اللغة، تشهد بأصالة المنهج الاجتماعي عند العرب، وأنه سبق الدرس اللغوي الحديث في النظر إلى اللغة من الناحية الاجتماعية.

إن دراسة اللغة في ضوء المجتمع له جذور في التراث اللغوي العربي، وهذا الأصمعي نظر إلى تغير أحوال المجتمع في عصره وتبدلها، فأخذ ينقد الخطأ اللغوي في قول الناس: "ساق إليها صداقها"، وإنما كان هذا يقال حين كان الصداق إبلاً وغنماً. وفي قياس قول الأصمعي أن أصحاب التمر، الذين كان التمر دياتهم ومهورهم، كانوا لا يقولون ذلك.^(١) يقع هذا البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف اللغة، وموازنتها في الدرس اللغوي الحديث.

المبحث الثاني: اللغة ظاهرة اجتماعية، وتتبع قوانينه الاجتماعية.

المبحث الثالث: التغير اللغوي وعوامله، وقد تناول جانبين:

أولاً: طبيعة التغير اللغوي: ثانياً: أسباب التغير

المبحث الرابع: الانقسام اللغوي، وقد تناول ثلاثة جوانب:

أولاً: اللغات الشمالية واللغات الجنوبية

ثانياً: اللهجات العربية

ثالثاً: لغة البدو ولغة الحضر

هذا، والحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث الأول: تعريف اللغة

لا يمكن تجاوز تعريف اللغة عند ابن جني [ت ٣٩٢ هـ] الذي يُعَدُّ تعريفه على قدمه من أهم تعريفات اللغة. يقول ابن جني: "باب القول على اللغة وما هي. أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(٢). ومن العلماء الذين نقلوا عنه هذا التعريف ابن سيده [ت ٤٥٨ هـ] الذي وصفه بأنه: "عام لجميع اللغات"^(٣)، وشرحه بقوله: "إذ كل صوت يُعَبَّرُ به عن المعنى المتصور في النفس لغةً، وكلُّ لغةٍ فهي صوت يُعَبَّرُ به عن المعنى المتصور في النفس".^(٤)

وجاء ابن خلدون بتعريف لا يقتصر على لغةٍ دون أخرى، مضمناً عناصر جديدة، وهي جدرة بالمناقشة والتحليل. يقول ابن خلدون: "اعلم أنَّ اللغة في المتعارف: هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمةٍ بحسب اصطلاحاتهم"^(٥).

وقد صرح ابن جني من قبل بوظيفة التعبير وأن اللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". إلا أن ابن خلدون يصرح بوظيفة التواصل بين المتكلم والسامع (المتلقي).

ويضيف لتعريف اللغة قضايا وعناصر تُعَدُّ من الأمور الأساسية والمنهجية في الدرس اللغوي الحديث، وهي: الكلام الفعل لساني والملكة اللغوية .

فعنصر الكلام الذي ذكره آنفاً هو الجانب الظاهر من اللغة ، ولكنه ليس الجانب الوحيد منها ، إذ يكمن وراءه "ملكة لغوية" مستقرة. وما قرره ليس بعيداً عن ما قاله سوسير من "أن قيام الأعضاء المختلفة بوظائفها يكمن وراءه ملكة عامة تتحكم بالاشارات وهي الملكة اللغوية الحقيقية"^(٦)، "واللغة شيء متميز جداً فإذا فقد المرء استخدام الكلام فإنه يبقى محتفظاً بها"^(٧) .

ويشير أيضاً في قوله إنَّ اللغة "في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" إلى عنصرين آخرين مهمين في تعريف اللغة هما: العنصر الاجتماعي، والعنصر الاصطلاحي .

ففي قوله: "في كل أمة"، إشارة إلى أنَّ اللغة إنما توجد بين الأمم والمجتمعات، وهي بذلك من خواص المجتمع.

والاصطلاح . هنا. بمعنى العرف الذي جرى عليه الاستعمال اللغوي، وليس بمعنى الوضع، يقول في موضع آخر: "واعلم أنَّ النقل الذي تثبت به اللغة إنما هو النقل عن العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني، لا تقل إنهم وضعوها ؛ لأنه متعذر وبعيد، ولم يعرف لأحد منهم"^(٨).

وكان مفهوم "الاصطلاح" يُقصد به الوضع عند اللغويين قديماً، سواء أكان الواضع هو الله . سبحانه فيُوصَفُ الوضع بأنه وحيٌّ أو توقيفٌ، أم كان الواضع بشرياً فيُوصَفُ حينئذٍ بأنه اصطلاح وتواطؤ^(٩)، فقد جاء في "باب القول على أصل اللغة، ألهام هي أم اصطلاح ؟"^(١٠)

قول ابن جني: " هذا موضع مُحْجَج إلى فَضْل تأمّل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وَحْيٍ وتوقيفٌ ^(١١) ".

وتقديم مفهوم "الاصطلاح" بمعنى العرف والاستعمال هو مرحلة متطورة في البحث اللغوي على مرحلة البحث عن واضع اللغة. إذ إن الاصطلاح بمعنى الوضع ليس له أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إنّ ما يقرره ليتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً، بل تتكون بالتدرج من تلقاء نفسها ^(١٢).

هذا، وضرورة تحليل هذا التعريف إلى عناصره الأولية لا يعني الفصل التام بينها، فالعنصر الاصطلاحي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنصر الاجتماعي، إذ إنّ كل أمة ومجتمع يصطلح على لغته الخاصة به، ولمّا كانت الأمم والمجتمعات تختلف الاصطلاحات فيما بينها، كانت لغاتها أيضاً مختلفة تبعاً لذلك.

ولإيضاح أهمية ما جاء به علماءنا القدامى من عناصر جديدة، سأعمد إلى الموازنة بينهم وبين ما جاء في الدرس اللغوي الحديث من تعريف اللغة .

قال سوسير: " ولكن ما هي اللغة Langue ؟ إنها بالنسبة إلينا تختلف عن الملكة اللغوية Langage، فما هي سوى جزء معيّن منها، جزء أساسي بالتأكيد، إنها نتاج اجتماعي لملكة اللغة، وفي الوقت نفسه هي مجموعة من الاصطلاحات الضرورية التي يتبناها الجسم الاجتماعي لكي تتيح ممارسة هذه الملكة عند الأفراد " ^(١٣).

ويلاحظ أن سوسير بعد أن بين صلة اللغة بالملكة اللغوية في تعريف اللغة حدد العنصر الاجتماعي، والعنصر الاصطلاحي، و عنصر القابلية على الممارسة .

وقد عرف اندريه مارتينه ^(١٤) اللغة فقال: " إنّ اللغة أداة تواصل تُحلّل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل تجمع إنساني، عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي وعلى عبارة صوتية " ^(١٥) . أشار مارتينه إلى العناصر الآتية: اللغة وسيلة تواصل بين الأفراد، اللغة قائمة على وحدات صوتية تشتمل على دلالة، تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر

وهذه العناصر الثلاثة تضمّنها تعريف ابن خلدون إلى جانب عنصرين لا يردان في تعريف مارتينه، هما: الملكة اللغوية والفعل اللساني ^(١٦).

أما العالم الأمريكي إدوارد سابير ^(١٧) فقال: " الكلام وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، وغير غريزية فيه، تمكنه من تبادل الأفكار والوجدانات والرغائب، بواسطة رموز صوتية اصطلاحية، على وجه التغليب والتعميم، تصدرها أعضاء النطق إرادياً، باندفاع الهواء خلالها من الداخل إلى الخارج " ^(١٨) .

والنقطة المهمة التي يضيفها هذا التعريف عن طبيعة الكلام هو أنه "غير غريزي"، وحاول سابير أن يقربها إلى الأفهام فقارنها بالسير . وخلصه رأيه أن السير غريزي وأن الكائن البشري مقدر له السير، ليس لأن من يكبره سيتولى تعليمه، بل لأن تكوينه العضوي مُعد منذ الحمل للقيام بهذا العمل وعلى هذا فليس للثقافة دخل هام في هذا الشأن. أما الكلام فهو غير غريزي، و وظيفة مكتسبة، إنه وظيفة ثقافية، فإن الإنسان يولد في حجر مجتمع يوجهه نحو تقاليده، فإذا عزل وليد عن أي مجتمع إنساني فإنه سيتعلم كيف يسير، ولكنه لن يتعلم كيف يتكلم، ثم لو نُقِلَ وليدٌ من بيئته الاجتماعية التي ولد فيها إلى أخرى مختلفة عنها أشد الاختلاف فإنه سيسير في بيئته الجديدة سيره لو ظل في بيئته القديمة التي ولد فيها، و لكن كلامه الذي سيتعلمه في هذه الحال يكون مغايراً تمام المغايرة لكلام بيئته التي ولد فيها^(١٩).

واقترب القدامى اقتراباً كبيراً من المفاهيم الحديثة من حيث العموم، ولا يعني هذا التقارب تطابقاً في النظرة، إذ يمنع من ذلك اختلاف المنهج وتباين الغاية من دراسة اللغة، قد يختلف المحدثون أنفسهم في تفصيلاتها، ولكن يكفي أن هذه العناصر والمفاهيم ما زالت مستعملة في الدرس اللغوي الحديث، مع هذا الفارق الزمني.

المبحث الثاني: اللغة ظاهرة اجتماعية

تنقسم الظواهر الاجتماعية من ناحية وظائفها التي تقوم بتنظيمها إلى أقسام: فمنها النظم العائلية، والنظم السياسية، والنظم الاقتصادية، والنظم القضائية، والنظم الدينية، والنظم التربوية، ومنها أيضاً النظم اللغوية^(٢٠).

وأبرز من تناول صلة اللغة بالظواهر الاجتماعية هو ابن خلدون في المقدمة في ما يسمى الآن "الظواهر الاجتماعية"، وما يسميه هو "واقعات العمران البشري" أو "أحوال الاجتماع الإنساني"^(٢١).

ويبدو مما كتبه ابن خلدون في المقدمة أنه كانت لديه فكرة واضحة عن اتساع نطاق الظواهر الاجتماعية وشمولها لجميع أنواع الظواهر المذكورة سابقاً. فإلى جانب الظواهر المتصلة بطريقة التجمع الإنساني، والظواهر المتصلة بالبدو والحضر وأصول المدنيات، ونظم الحكم وشؤون السياسة، والظواهر الاقتصادية، والظواهر التربوية، عرض للظواهر اللغوية، شأنها شأن سائر الظواهر الاجتماعية الأخرى^(٢٢).

وهذا العلم الجديد الذي يبحث هذه الظواهر الاجتماعية، استجمع ابن خلدون خيوطه من الملاحظات المتفرقة في الكتب المصنفة في موضوعات مختلفة. قال ابن خلدون: "وهذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم، وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب ... مثل ما يذكر في أصول الفقه، في باب إثبات اللغات،

أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع، وتبيان العبارات أخف^(٢٣).

وتظهر اللغة في آراءه الاجتماعية، وفي تفكيره بهذا العلم الجديد. كما يظهر هذا المفهوم الاجتماعي بصورة واضحة في تطبيقاته اللغوية، ففي حديثه عن لغة البدو الدارجة (العامية) في عصره، قال: "والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد".^(٢٤) فاستعمله لعبارة "التعاون" يظهر أثر مفاهيمه الاجتماعية في اللغة.

ومن خصائص الظواهر الاجتماعية التي تنبئ لها ابن خلدون أنها لا تبقى على حال واحدة بل تتغير أوضاعها باختلاف العصور، في أي مجتمع من المجتمعات، وفي مختلف مراحل حياته، قال: "إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هي اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول..."^(٢٥).

جاء فكر ابن خلدون اللغوي منسجماً مع فكره الاجتماعي، فاللغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى تخضع لقانون التغير، وفي ذلك يقول ابن خلدون ضارباً أمثلة من التاريخ: "وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو إسرائيل والقبط، وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم، وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم، وأحوال اعتماهم للعالم تشهد بها آثارهم، ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب والفرنجة، فتبدلت تلك الأحوال، وانقلبت بها العوائد إلى ما يجانسها أو يشابهها وإلى ما يباينها أوبيا عدها ثم جاء الإسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلاباً أخرى"^(٢٦).

وفي أثناء حديثه عن اللغة تظهر اصطلاحات تحمل الدلالة نفسها التي تحملها كلمة "عوائد"، فقد استعمل مصطلح "عرف التخاطب في الأمصار"^(٢٧)، للغة الحضر، قال مرتضى الزبيدي: "ونقل شيخنا عن جماعة أن العادة والعُرف بمعنى، وقال قوم: وقد تختص العادة بالأفعال والعرف بالأقوال..."^(٢٨).

واستعمل كلمة "عُرف" ليس بالمصادفة هنا. فكونه عالماً اجتماعياً فهو يعدّ اللغة ظاهرة اجتماعية ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها من أنواع السلوك الاجتماعي الأخرى. فاستعمال اللغة يتلاءم مع العُرف اللغوي القائم في البيئة. وفي كل مجتمع تتكون مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تتحكم فيه والتي يلتزم بها أفراد المجتمع ويراعونها، فيتوافق سلوكهم مع عُرف المجتمع السائد. ومتكلم اللغة يستعمل لغة المجتمع الذي ترعرع فيه، ومن ثمّ ينسجم مع عرف التخاطب في مجتمعه^(٢٩).

نشأ البحث اللغوي عند العرب منصباً على رصد بنية اللغة نفسها من قواعد و معجم أو ما يتصل بشواهد اللغة وجمعها و توثيقها، ونظروا إلى اللغة في مرحلة زمنية معينة من مراحل تاريخها، أما ما طرأ على بنية اللغة من تغيرات فقد عدّوها أخطاء لغوية أو كما سموه "لحنًا". فكانت نقطة البدء عندهم هي اللغة ونقطة الانتهاء هي اللغة أيضاً .

وجاءت نظرة ابن خلدون إلى اللغة متصلة بالمجتمع التي توجد فيه، فبحث اللغة في سياقها الاجتماعي، ولكنه لم يبحث في قواعد اللغة وقوانينها بل بحث في قوانين المجتمعات، وحاول الكشف عن القوانين الاجتماعية التي تسير عليها اللغة بوصفها ظاهرة من ظواهر المجتمع . وكان قانون التغير أهم ما كشف عنه بحثه، بعد أن وسّع اهتمامه ليشمل مراحل متعددة من تاريخ اللغة، فلم ينظر إلى أخطاء لغوية وإنما نظر إلى واقع لغوي متغير، وقواعد لغة تختلف عن قواعد لغة أخرى.

لم يكتف بذلك بل طرح المشكلات اللغوية التي يعانيتها المجتمع، ثم سعى لإيجاد الحلول التي لا تتجاهل القوانين الاجتماعية التي تفرض بعضها التغير المستمر على لغات المجتمع، بل سعى إلى توظيف بعضها الآخر في عملية تعليم اللغة المضرية (الفصحى)، فطرح حلاً يحاكي الطريقة التي تسير عليها المجتمعات في تعليم اللغات لأفرادها، . كما سيأتي هذا في الفصل الثاني . . وهكذا بدأ بحثه بالمجتمع وانتهى إلى اللغة .

والمنهج الاجتماعي في دراسة اللغة هو أحدث ما توصلت إليه المناهج في العصر الحديث، تدرس في ضوئها اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، وتؤلف موضوعاً من موضوعات "علم الاجتماع" وفرعاً من فروع سموه "علم الاجتماع اللغوي"^(٣٠) نهض بهذا الفرع أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها دوركايم في أوائل القرن العشرين، وطائفة من أئمة علماء اللغة في الغرب انضمت إلى هذه المدرسة واعتنقت مذهبها، ومن أشهرهم : دو سوسور، ومايه^(٣١)، وفندريس^(٣٢) .^(٣٣)

وبتقدم علم اللغة أصبح "علم اجتماع اللغة" أو "علم اللغة الاجتماعي" واحداً من أهم مجالات التطور في الدراسات اللغوية من منظوري المناهج الدراسية ومجالات الأبحاث في الغرب . ويعرف "علم اللغة الاجتماعي: على أنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"^(٣٤) . ويؤكد الدارسون المختصون بهذا الاتجاه على أن "الكلام لا يختلف من الناحية النوعية عن الجوانب الأخرى للسلوك الاجتماعي، وإن بعض جوانب بناء اللغة لا يمكن وصفها إلا بالرجوع إلى الكلام على أنه سلوك اجتماعي في المقام الأول"^(٣٥)، وينبهون على "أن دراسة اللغة دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي جهد لا يستحق العناء"^(٣٦)، ويوصون بضرورة إدراك "أن نظريات اللغة التي

ظهرت في العقود المنصرمة قد تعاني من أخطاء فادحة جراء الموقف غير الاجتماعي الذي اتخذته المدافعون عنها ^(٣٧).

إنَّ ما دعا إليه ابن خلدون يصدق عليه وصف "جوستون بوتول" ^(٣٨) حين قال: "ولو عاش ابن خلدون في عصر آخر لكان له تلاميذ، يستخرجون من المقدمة التعاليم العلمية التي تتضمنها، ولربما استطاع ابن خلدون نفسه أن يستخرجها ... وعلى كلِّ بقي صوته بلا صدى، ولو وجدت مؤلفاته في ظروف أخرى لكانت مؤلفات هذا الرائد العبقرى دافعة على إنشاء علم قائم بذاته ولولدت سلسلة طويلة من الدراسات ولكانت نقطة ابتداء لمدرسة كاملة . ولم يحدث شيء من هذا، وكانت المقدمة آخر شعاع انبعث مما سمي بحق " النهضة العربية" التي انتقل مشعلها بعد ذلك إلى أوروبا" ^(٣٩).

ولعل ذلك يمكن أن يوضح أنَّ ابن خلدون لم يكن صاحب نظرة بل نظرية في البحث اللغوي .

المبحث الثالث: التغير ^(٤٠) اللغوي وعوامله:

أولاً: طبيعة التغير اللغوي

الظواهر الاجتماعية تخضع لقانون التغير، وهذا التغير الحاصل في الظواهر الاجتماعية . لا يكون دفعة واحدة، بل يكون بصورة تدريجية وعبر عصور طويلة ^(٤١)، وهو السبب الذي أرجع إليه عدم التقطن لذلك التغير وخفاه على كثير من الناس ^(٤٢).

فالتغير مستمر، لا يأتي مرة واحدة، وإنما بمزج العناصر القديمة بالجديدة، ثم تأتي مرحلة أخرى تمزج فيها العناصر المتكونة من القديم والجديد بعناصر أخرى جديدة، وهكذا يستمر التغير، وتكون العصور متداخلة، فليس هناك انقطاع كامل بين عصر وآخر يليه ^(٤٣).

والتغير التدريجي، قد وقع على اللغة العربية ومراحل تغييرها في عصورها المختلفة. حين دخلت المدن في حكم المسلمين، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب. وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك. وصار اللسان العربي لسانهم، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم. وصارت الألسن الأعجمية دخيلة فيها وغريبة ^(٤٤).

وما يقرره المحدثون من علماء الاجتماع وعلماء اللغة في العصر الحديث. أنه ليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تغير لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، فمهما أجادوا في وضع معجماتها، وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط أصواتها وقواعدها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءةً وكتابةً ونطقاً، وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون في هذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن

تحطم هذه الأغلال، وتقلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريد السير فيها. ولينظر حال اللغة العربية، وما كانت عليه في صدر الإسلام، وما آلت إليه الآن في العامية المحكية، فمع تلك الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل صيانتها ومحاربة ما يطرأ عليها من تحريف، ومع أن هذه الجهود كانت تعتمد على دعامة من الدين، فإن ذلك كله لم يحل دون تغييرها في الأصوات والقواعد والأساليب والدلالات، إلى الصورة التي هي عليها الآن في العاميات المحكية^(٤٥).

ثانياً: أسباب التغير

من أبرز عوامل التغير في اللغة هو عامل الاختلاط، والتأثر بالحكام، فقد كانت الغلبة للغة العربية على اللغات الأعجمية في الأمصار، في العصور المتقدمة، بعد انتشار الإسلام، ولم تسلم اللغة العربية نفسها من الاختلاط، فتأثرت بها وإن تغلبت عليها في النهاية، قال: "ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره، وإن كان بقي في الدلالات على أصله، وسمي لساناً حضرياً في جميع أمصار الإسلام"^(٤٦).

وفي أثناء حديثه عن لغة الأمصار، يعقد موازنة بين فيها أوجه الشبه بينها وبين لغة الأمصار في عصره، مذكراً بالتغير التدريجي، وعامل الحكام المؤثر فيه، قال: "وأيضاً فأكثر أهل الأمصار في الملة لهذا العهد، من أعقاب العرب المالكين لها، الهالكين في ترفها، بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم. واللغات متوارثة"^(٤٧). فبقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئاً فشيئاً، وسميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار، بخلاف لغة البدو من العرب، فإنها كانت أعرق في العروبية"^(٤٨).

ويعود بعد تلك الموازنة، يتحدث عن اللغة العربية في المشرق والمغرب، فيقول: "ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين، وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة المضربة بالأمصار عربية".

فلما ملك التتر والمغول بالمشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح، وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام إلا قليلاً يقع تعليمه صناعياً بالقوانين المتداولة من علوم العرب، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك. وربما بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والأندلس والمغرب، لبقاء الدين طالباً لها، فأنحفظت بعض الشيء. وأما في ممالك العراق وما وراء فلم

يبقى له أثر ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس" (٤٩).

وهكذا يرجع التغير في اللغة إلى عدة أمور مترابطة، منها: انتشار اللغة العربية، والذي كان مرتبطاً بمدى انتشار الإسلام، و يتصل هذا بعامل الحكام والقادة، والذين كان لاعتناقهم الإسلام أثر بالغ في نشره، و في انتشار اللغة العربية، كما أنَّ انحسار اللغة العربية كان سببه الحكام الذين لم يكونوا على دين الإسلام، وهو العامل الذي أرجع إليه سبب تغير الظواهر الاجتماعية بصورة عامة. (٥٠).

تتأثر اللغات ببعضها، واللغة المؤثرة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها، بل إن طول احتكاكها باللغات الأخرى، يترك في اللغة الغالبة أثراً كثيرة من اللغات المغلوبة. (٥١) ومن العوامل المهمة في تغير اللغة "المخالطة"، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد ؛ لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم ... وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة وَيُرَبَّوْنَ عليه يبعدون عن الملكة الأولى" (٥٢).

فالاختلاط من العوامل الاجتماعية المؤثرة في تغير اللغة عبر مسارها التاريخي. أما العزلة فهي من العوامل التي تحافظ على نقائها وخصائصها الأولى (٥٣). قال ابن خلدون: "ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم. وعلى نسبة بُعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية" (٥٤).

ويؤيد هذا ما نقله السيوطي عن الفارابي في أول كتابه "الألفاظ و الحروف"، ومنه قوله: "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، و أسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، و إبانة عمّاً في النفس، والذين عنهم نُقِلَت اللغة العربية و بهم اقتُدي وعندهم أُخِذَ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس و تميم و أسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم" (٥٥).

أما بُعد قريش عن بلاد العجم من جميع جهاتها فقد كان حاجزاً طبيعياً دون كثرة اتصالها بالأجانب، فلم يدخل لهجة قريش من لكنة الأعاجم ما داخل القبائل المتطرفة التي كانت على

اتصال وثيق بمن حولها من غير العرب^(٥٦). فبعد قريش عن الاحتكاك باللغات الأعجمية، هو السبب عند ابن خلدون الذي جعل قريش أفصح العرب.

المبحث الرابع: الانقسام اللغوي

يقرر المحدثون أن اللغات السامية تؤلف عائلة لغوية واحدة، ويفترضون أنها انحدرت من أصل واحد، يطلق عليه تسمية اللغة الأم، وبمرور الزمن وبفعل الهجرات والتباعد الجغرافي، ازدادت الاختلافات، لكنها تظل متشابهة في مفرداتها الأساسية وفي تركيبها النحوية الأساسية.^(٥٧)

واللغة العربية فرع من اللغات السامية، بمفهوم العلم الحديث المتصل بالناحية اللغوية وليس من النواحي العرقية وتقسيم الشعوب،^(٥٨) وقد يطلق عليها لغات الجزيرة.^(٥٩)

أولاً : اللغات الشمالية واللغات الجنوبية

وتقسم اللغات العربية على قسمين : الأول : اللغات العربية الشمالية، وهي عربية القرآن الكريم، والصفوية والشمودية والليمانية . والقسم الآخر : اللغات العربية الجنوبية، ويقصد به لغات سكان المناطق الجنوبية من جزيرة العرب، وتحصر بلغة المعينيين والسبئيين والقتبانين والأوسانيين والحضرمين والحميريين، وكلها لغات عاش المتكلمون بها قبل الإسلام، واندثر بعضها قبل الإسلام بآمد، وعثر على نصوص مدونة لها يرجع تأريخ عدد كبير منها إلى ما قبل الميلاد، وبقيت لبعضها بقية في الإسلام^(٦٠). ويطلق العلماء على هذه اللغات اسم "اليمنية القديمة" أو "القحطانية"، ويسمون أحياناً باسم بعض لغاتها الشهيرة فيطلقون عليها اسم "الحميرية"^(٦١). ويرى المؤرخون المحدثون أن اليمن من أقدم مواطن الساميين التي وصلت لغاتها القديمة عن طريق النقوش وقد دونت كتاباتها بالقلم المسند^(٦٢).^(٦٣)

الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم، واحتفى النحاة بدراساتها اطلق عليها ابن جني تسمية "لغة ابني نزار"، يسيها ابن خلدون "لغة مضر" ومضر أحد ابني نزار، وأما الآخر فهو ربيعة، وإليهما تنتسب أغلب قبائل الجزيرة العربية. قال ابن جني: "وبعد، فلسنا نشك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار"^(٦٤).

قال المستشرق راين: "ومع أننا نحس بأن الحميرية كما تظهر في الوثائق التي معنا تشبه العربية شبة كبيراً، فإن العرب قد اعتبروها غير مفهومة على الاطلاق"^(٦٥) ثم نقل عن المقدسي البشاري في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" قوله: "وبطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم"^(٦٦).

قال أبو عمرو بن العلاء^(٦٧) [ت ١٥٤ هـ] : "ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا"^(٦٨).

وقال ابن جني: "وبعد، فلننا نشتك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار^(٦٩)". ولم يستطع ابن جني أن يفهم ما ورد من كلام أهل اليمن، قال: "ودخلت يوماً على أبي عليّ . رحمه الله . خالياً في آخر النهار فحين رأني قال لي: أين أنت ؟ أنا أطلبك . قلت: وما ذاك ؟، قال: ما تقول في ما جاء عنهم من حَوْرِيَت ؟. فحُضْنَا معاً فيه، فلم نحل بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة ابني نزار، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلهم." ^(٧٠).

وكان الدكتور علي عبد الواحد وافي يرى أن اللغة العربية اشتبكت مع اللغات اليمنية القديمة في صراع استغرق أمداً طويلاً، وانتهى في المراحل الأخيرة من العصر الجاهلي بانتصار العربية على هذه اللغات في كثير من المناطق ^(٧١)، غير أن اللغة العربية قد نالها في السنة أهل اليمن بعض التحريف في أصواتها ومفرداتها وقواعدها، ولكن هذا الخلاف لم يكن ليزيد على الخلاف بين لهجات اللغة الواحدة ^(٧٢). وجعل الدكتور علي عبد الواحد وافي قول أبي عمرو بن العلاء المذكور سابقاً في اللغات اليمنية التي تنتمي إلى عصور قديمة، وليست من الحميرية التي كانت في نهاية العصر الجاهلي .

وما قاله الدكتور علي عبد الواحد وافي يحتاج إلى مراجعة وتحقيق . فابن سلام حين أورد قول أبي عمرو بن العلاء، كان في سياق الحديث عن نفي الشعر المنسوب إلى عاد وثمود. قال ابن سلام: "وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه ؟ ... " ^(٧٣).

فقول أبي عمرو بن العلاء [٧٠ . ١٥٤ هـ] : "اليوم"، يعني لغة حمير في عصره. وقوله: "فكيف بما على عهد عاد وثمود ؟"، يؤكد ذلك . إذ المقصود أن هذا الشعر المنسوب إلى عاد وثمود المكتوب بهذه اللغة المفهومة هو شعر زائف، واستدل على ذلك بقياس الغائب على الشاهد، والاستدلال بالمشاهد على الغائب، فإذا كانت الفصحى تغاير لغة حمير في عصره المشاهد فمن باب أولى أن تكون المغايرة شديدة بين لغة تنتمي لهذا العصر وبين لغة أخرى بالغة القدم، يفصل بينها وبين الفصحى عصور عديدة . ولذلك فالشعر المكتوب بهذه اللغة المفهومة هو شعر زائف .

وأما قول أبي عمرو: "ولا عربيتهم بعربيتنا"، فقد وصف فيه الحميرية بالعربية، وهي إشارة منه إلى أن كلاً من لغة مضر (الفصحى) و لغة حمير، ترجعان إلى أصل عربي قديم، وإن اختلفتا وتغايرتا فيما بينهما .

وقد وصف الهمداني [٢٨٠ . ٣٣٤ هـ] اللغة في عصره ^(٧٤)، ومنه قوله: "... سَرُو حمير وجَعْدَة ليسوا بفصحاء و في كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يا بن معَم في يا بن العم و سَمِع في أسمع ... خيوان فصحاء وفيهم حميرية كثيرة إلى صعدة، وبلد

سُفيان بن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم أم رَجُل و قَيْدٌ بعيرك و رأيت أخوأك و يشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل و البعير و ما أشبهه ... صنعاء في أهلها بقايا من العربية المحضة ونبذ من كلام حمير، و مدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعة منهم لغة ...، شبام أقيان و تخلي حميرية مخضة ...^(٧٥)، فأشار الهمداني إلى أن الحميرية الخالصة كانت في مناطق عديدة من اليمن، و كانت قبائلها لاتزال إلى عصره تخالطها الحميرية على درجات متفاوتة.

هذا، و عُرِفَت لغات العرب ومنها اللغة التي نزل بها القرآن، وهي التي يقال لها " اللغة العربية الفصحى " بـ "اللغات السامية" عند المستشرقين، وقد عرفت دراستهم هذه بـ " الساميات"، وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يضعها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية، تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة أو عدمه في العصر الحاضر^(٧٦).

ثانياً: اللهجات العربية

العلاقة بين " اللغة " و " اللهجة " هي علاقة العام بالخاص، لأن كل لهجة هي جزء من نظام لغوي أوسع، يضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها جميعاً تشترك في مجموعة من الظواهر اللغوية، هي التي اصطلح على تسميتها " اللغة".^(٧٧)

والمجتمع العربي هو مجتمع قبلي، واللهجات العربية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية لا تختلف أسباب وجودها عن الأسباب العامة في نشأة اللهجات، من بيئة جغرافية ممتدة، من المناطق الصحراوية التي يعيش فيها البدو، إلى مناطق الاستقرار والتحضر حيث توجد الزراعة أو التجارة.^(٧٨)

المصادر العربية القديمة تنقل أن القرآن نزل بلغة قريش، وطريق نطق النبي، ﷺ، كانت بالنطق السائد للعربية في مكة.^(٧٩) وتتجلى اللهجات العربية في أبرز صورها في القراءات القرآنية، وما أتيح تيسيراً لنطق العرب في قراءتهم للقرآن الكريم. وهذا كتاب سيبويه في أقدم نص لغوي يصلنا مدونة فيه قواعد اللغة يميز بين لغة تميم أهل الحجاز، في مواضع عدة.^(٨٠) وهكذا بقية المصادر التي تعنى باللهجات العربية كالمعاجم وغيرها، في مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ثالثاً: لغة البدو ولغة الحضر

المجتمع يتنوع بحسب جغرافيته ومراحله الزمنية المتغيرة، ويدفع ذلك إلى البحث عن التنوع الحاصل في المجتمع بين بيئتين: بدوية وحضرية، وكذلك تنوع مستويات المجتمع في طريقة معيشتهم.

التمييز بين لهجة البدو وبين لهجة الحضر يرجع إلى عصور متقدمة، إلا أنَّ الفجوة بينهما أو بين هاتين اللهجتين وبين الفصحى، لم تكن واسعة على الصورة التي انتهت إليها في عصور متأخرة.

يروى الزبيدي^(٨١) فيقول: "دخل الفراء على هارون الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرّت ... فقال الرشيد للفراء: أتلحن؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل البدو الإعراب، و طباع أهل الحضر اللحن؛ فإذا تحفّظت لم ألحن و إذا رجعت إلى الطبع لحنْتُ، فاستحسن الرشيد قوله"^(٨٢).

فكان الإعراب من خصائص لهجة أهل البدو، أما أهل الحضر فقد فشا فيهم اللحن حتى وصل إلى أكابر النحاة كالفراء، وقد أوحى الجاحظ بهذا المذهب في كتبه، إذ ضمنها مادة غزيرة في الثقافة العامية، وحكى عن العوام و ظرفهم، وكان سبيله إلى ذلك أن يولّد الأحاديث على ألسنتهم، كاشفاً عن الأوساط العامية التي يحيون فيها^(٨٣). قال الجاحظ: "ومتى سمعت . حفظك الله . بنادرة من كلام الإعراب؛ فأياك أن تحكيها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها . فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج كلام المؤلّدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية، وعليك فضل كبير، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومُلحة من مُلح الحشوة والطعام، فأياك أن تستعمل فيها الإعراب أو تتخذ لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها فيك خرجاً سرياً، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أُريدت له ويُذهب استطابّتهم إياها واستملاحهم لها"^(٨٤).

تحدث ابن خلدون عن حالة اللغة العربية في عصره على ألسنة الناس في الحواضر والبادي، وميّز بين قسمين هما: لغة البدو و لغة الحضر .

قال ساطع الحصري: "إن ما نسميه اليوم باسم "اللغة الفصحى" كان يسميها ابن خلدون باسم "لسان العرب" و "اللسان العربي" أو "لغة مضر" أو "اللسان المضري". وقد سماه مرة "اللسان المدون"^(٨٥). أيضاً. أما ما نسميه اليوم باسم "اللغة العامية" فكان يشير إليه ابن خلدون بتعبير "لغة الأمصار" بالنسبة إلى الحضر، و "لغة الجيل أو لغة العرب لهذا العهد"^(٨٦) بالنسبة إلى البدو "^(٨٧).

وقد وقف ابن خلدون عند لغة التخاطب اليومية في المجتمعات العربية في عصره ليصور مغايرتها و استقلالها عن اللغة التي نزل بها القرآن، والتي استقرى النحاة قواعدها وأحكامها. فيقول: "اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت"^(٨٨). ثم يعقب بحالة لغة البدو في عصره فيقول: "ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها." "^(٨٩).

وصرَّح بمغايرة لغة البدو ولغة الحضر في عصره للغة مضر (الفصحى)، وقد عنون بذلك في "فصل: في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر" (٩٠).

ويميز أيضاً بين مستويين من اللغة العامية ولغة التخاطب في عصره هما : لغة البدو ولغة الحضر، وكل واحد منهما لغة قائمة بنفسها عن الأخرى. (٩١).

واللغات العامية (البدوية و الحضرية) وإن كانت امتداداً للغة المضربية القديمة إلا أنها تخالف المضربية إلى درجة الاستقلال عنها. ثم إن التمييز بين اللغة البدوية واللغة الحضرية لا يعني أن لغة الحضر هي واحدة في جميع البلدان الإسلامية، بل هي تختلف من بلد لآخر فهي في المشرق والمغرب غيرها في الأندلس. وبذلك فهي منقسمة على نفسها وإن كانت تمثل في مجملها كتلة لغوية متميزة في مقابل لغة البدو.

ومن المظاهر التي تختلف فيها لغة البدو العامية عن لغة مضر (الفصحى) : فقدانها الإعراب، كما تختلف عنها بالكثير من الموضوعات اللغوية (دلالة المفردات)، و بناء الكلمات (التصريف)، أما لغة الحضر العامية فاختلقت عن المضربية في الإعراب أيضاً، وأما في الأوضاع اللغوية والتصاريف فكانت أكثر مخالفةً من لغة البدو (٩٢).

ثم يعقب بقوله: " وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصودة، والإبانة عما في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد. وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل، فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة. فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد" (٩٣).

فكان يدرك إدراكاً تاماً وظيفة اللغة في المجتمع، وأن اللغات العامية في عصره كانت تؤدي وظيفتها هذه، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، وهذا معنى اللسان واللغة" كما يقول ابن خلدون .

وكذلك نبه على أن فقدان الإعراب لا يضر اللغات العامية في عصره عن تأدية وظيفتها" في الإفهام والفهم وتوضيح المراد، وقد التزم ابن خلدون في رأيه موقف عالم الاجتماع الذي يصف ما أمامه من مظاهر اجتماعية . ومنها اللغة . فلم ينزلق إلى المفاضلة والاستحسان والاستهجان، بل قدم الموازنة بين هذا المستوى . لغات الأمصار . وغيره دون تفضيل، ليوضح مدى تمايز . لا امتياز . لغات الأمصار عن غيرها، فبين التباين فيها من جهات ثلاث يطلق عليها الدارسون: اللحن . اختلاف المصطلحات الخاصة . فقدان الإعراب. ومع ذلك فهي لغات يتفاهم بها أهلها وقد فرضت استعمالها على الألسنة، وحققت الصلات الاجتماعية بين الناس في الأمصار" (٩٤).

قال الدكتور محمود فهمي حجازي: "وإذا كان بعض اللغويين قد لاحظ وجود التغير الإعرابي في العربية الفصحى وعدم وجود أكثر ظواهره في اللهجات العربية، وظن وجود التغير الإعرابي فضلاً يجعل الفصحى مكانة فوق اللهجات، فالواقع أن مستويات الاستخدام اللغوي لا تستمد مكانتها من البنية بل من استخدامها ومكانة المتعلمين بها ومستويات التعامل بها ومجالات استخدامها، ولا دخل في هذا لوجود الإعراب في لغة ما أو عدم وجوده في لغة أخرى. لا فضل لاسم على فعل، ولا لفعل على اسم، ولا لإعراب على بناء ولا لبناء على إعراب، وكل هذه تصنيفات عرفت في العربية ولغات أخرى، وتخلو منها لغات كثيرة، فلكل لغة نمطها الخاص في الوحدات الصرفية وتوزيعها ووسائلها المتعددة لبناء المفردات.^(٩٥)

فالقضية اصطلاح وعُرف استعماله، ولذلك لم يكن سبب تفضيل لغة مضر هو لغة مضر نفسها، ولم يكن الدافع من وراء تدوين قواعدها هو لخصائصها الذاتية. بل كان الدافع إلى العناية بها أنها اللغة التي نزل بها القرآن ونُقل بها الحديث النبوي. قال ابن خلدون: "ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها، كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر، إلا أن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة كما قلناه، حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء..."^(٩٦).

وفي سياق الحديث عن الأشعار التي قيلت باللغات العامية في عصره. قال ابن خلدون: "فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه، سواء كان الرفع دالاً على الفاعل، والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس. وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام، كما هو في لغتهم هذه، فالدلالة بحسب ما يصطاح عليه أهل الملكة"^(٩٧). وقال أيضاً: "وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلمات، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر. ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب."^(٩٨).

والقول بأن هذه اللغات العامية هي امتداد للغة مضر (الفصحى) لا يتناقض مع القول بأنها لغات مستقلة عنها، إذ إن من المقرر في الدرس اللغوي الحديث أن "القاعدة اللغوية الكبرى ... تقول: إن اللغات تسير على تحوير العناصر الموجودة، لا على الخلق"^(٩٩)، أي "أن اللغات تصدر عن تغييرات عناصرها الموجودة لا عن خلق جديد، فمن يريد أن يضع اسماً لشيء جديد يستعير عادة عناصر الكلمة من لغته أو من لغة أجنبية"^(١٠٠).

وبعد أن قرر ابن خلدون أن لغة مضر قد تغيرت وأصبحت عدة لغات عامية متباينة في البلدان المختلفة، سجل بعض الأشعار التي جاءت باللغات العامية في عصره، ذلك أن هذه اللغات العامية ينطبق عليها ما ينطبق على سائر اللغات الأخرى، من تعريف اللغة، وما تؤديه

من وظيفة في المجتمع^(١٠١). وأخذ في الحديث عن بعض الفنون الشعرية ومسمياتها في عصره، بل أخذ يتحدث عن بلاغتها،^(١٠٢). فهؤلاء الشعراء الذين ينشدون شعرهم بلغة عصرهم شأنهم شأن الشعراء بلغة مضر (الفصحى)، منهم المجيد ومنهم المتأخر.

ولكن هناك بعض المخالطين لعلوم اللغة من كان لهم رأي آخر، فقد استهجنوا هذا الشعر لخلوه من الإعراب. يقول ابن خلدون عنهم: "والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد، وخصوصاً علم اللسان، يستتكر هذه الفنون التي لهم إذا أسمعها، ويمج نظمهم إذا أنشد، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها. وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم. فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له ذوقه وطبعه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة"^(١٠٣). وهكذا فإن ابن خلدون لا يكتفي بتسجيل صور من الشعر العامي في عصره بل يدافع عن مستواه الفني.^(١٠٤)

ومدار الأمر في اللغات هو الاصطلاح والعُرف . قال: "فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة، فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة، وإذا طابقت الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك."^(١٠٥).

وكما استقل كل بلد بلهجته ولغته، فإنه استقل بذوقه أيضاً. إذ تعددت البلاغة بتعدد تلك اللغات واللهجات، وأصبح الأندلسي لا يستطيع أن يتذوق البلاغة في شعر أهل المغرب. والمغربي يعجز عن إدراك البلاغة التي في شعر أهل الأندلس ، والمشرق هكذا. إنما تذوق البلاغة لا يتم إلا بمعرفة اللغة وإتقانها، والاطلاع على طرق استعمالها.^(١٠٦)

مما تقدم يتبين أن الثقافة العربية الإسلامية كانت مرتبطة بعربية فصحي هي لغة القرآن والحديث النبوي، ولم تكن لغة الحديث اليومي تختلف عنها، وبمرور الوقت، كانت لغة الحديث اليومي في أنحاء البلدان والأمصار العربية الإسلامية تمضي نحو مزيد من الانقسام والتفرع الدائم والتباعد^(١٠٧). فنشأت من ذلك ثنائية لغوية، بين لغة الثقافة و الكتابة الأدبية وبين اللغة العامية المحكية. وكان عصر ابن خلدون أحد الأمثلة على تلك الثنائية اللغوية .

ولم تسر حالة الانقسام والمغايرة على حالة واحدة، فقد اختلفت بحسب كثرة الاختلاط والاحتكاك باللغات الأجنبية، فساكن الحضر والأمصار كانوا أكثر تعرضاً لهذا الاحتكاك اللغوي الذي تقرضه حياتهم المدنية على العكس من ساكن البادية الذين كان تأثرهم بالتغيرات الاجتماعية بطيئاً لخصوصية الحياة البدوية وبعدها عن الاختلاط. وعلى هذا فالتغير اللغوي كان في الحضر أسرع حركةً منه في البادية، ومن هنا نشأ التمييز بين لغة البدو وبين لغة الحضر .

الخاتمة

- أبرز هذا البحث أصالة المنهج الاجتماعي اللغوي عند العرب، من عدة جوانب:
- تعريف اللغة يشمل عناصر مهمة ولاسيما العنصر الاجتماعي والاصطلاحي بالمعنى العرفي.
 - التراث العربي سبق الدراسات الحديثة في أن اللغة ظاهرة اجتماعية شأنها كشأن الظواهر الأخرى.
 - التغير اللغوي من خصائص الظواهر الاجتماعية، ذا طبيعة تدريجية، ولا يحصل دفعة واحدة.
 - من أسباب التغير اللغوي الاختلاط، والغلبة.
 - يعد الانقسام من مظاهر التغير اللغوي، فتنقسم اللغة إلى لهجات متعددة، لكنها مشتركة في الخصائص العامة التي تجمعها.
 - طبيعة المجتمع القبلي وامتداده الجغرافي يفرض تنوع بين طبقات المجتمع بين بدو وحضر، وكانت حركة التغير اللغوي في البداوة أقل منها في الحضر.

الهوامش

- (١) البخلاء ١٩٦.
- (٢) ابن جني: الخصائص (٣٣/١).
- (٣) ابن سيده: المخصص (٦/١). وينظر: غانم قدوري الحمد: أبحاث في العربية الفصحى ٧ . ١١. حيث أورد ثلاثة تعريفات للغة عند ابن جني وابن الجبان وابن خلدون، ووازَنَ بين هذه التعريفات .
- (٤) ابن سيده: المخصص (٦/١) .
- (٥) المقدمة ٧٠٠ .
- (٦) فردنان دي سوسير: علم اللغة العام ٢٩.
- فردنان دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) لغوي سويسري عاش في فرنسا، يعود له الفضل الأول في إرساء أسس علم اللغة الحديث في الغرب على دعائم علمية ثابتة. ينظر: ميشال زكريا: الألسنية، علم اللغة الحديث، المبادئ و الأعلام ٢٢٣ . ٢٢٤.
- (٧) سوسير: علم اللغة العام ٣٣.
- (٨) المقدمة ٧٠٥. إلا أن ابن خلدون . نفسه . لم يلتزم بما أوصى به، فقد وردت في المقدمة عبارة (٥٧٨): "الأوضاع اللغوية"، و وردت عنده عبارة (٧٠٣): "الموضوعات اللغوية"، و جمع بين الاستعمال والوضع، (في المقدمة ص ٧٠٥)، في قوله: "ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى ... " . ولعل هذا يرجع إلى تنقيح ابن خلدون للمقدمة، ولكنه لم يحذف ما يتعارض مع التعديلات الجديدة، وهو ما يرصد مدى تطور فكر ابن خلدون . وهناك أمثلة أخرى لتتقيحاته مع عدم حذف ما يناقضها يذكرها ساطع الحصري في: دراسات عن مقدمة ابن خلدون ١٢١ . ١٢٦.
- (٩) ينظر: السيوطي: المزهري (١٢ / ١).
- (١٠) الخصائص (٤٠ / ١) .

- (١١) الخصائص (١ / ٤٠) .
- (١٢) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ١١١ .
- (١٣) وهذه هي ترجمة الدكتور ميشال زكريا في كتابه " الألسنية، علم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية " ص ٥٧، وقد ترجم المصطلح Langue باللغة و ترجم المصطلح Langage بالملكة اللغوية و يبدو أن الترجمة باللغة والملكة اللغوية هي الأقرب، ليس لكونها تسهل عملية المقارنة بمصطلح الملكة اللغوية عند ابن خلدون، بل لكونها تبدو أكثر انسجاماً لسياق الكلام عند سوسير. أما الدكتور يوثيل يوسف عزيز فقد ترجم الأول باللغة والآخر باللسان البشري، في ترجمته لكتاب، سوسير: "علم اللغة العام " ص ٢٧، وهو الموضع نفسه الذي ورد فيه تعريف اللغة. أما الدكتور تمام حسان فقد ترجم الأول باللغة المعينة والآخر باللغة في كتابه: مناهج البحث في اللغة ٣٩ .
- (١٤) ولد اندريه مارتينه سنة ١٩٠٨ في فرنسا. تخصص في اللغات الألمانية، وشغل منصب مدير الدراسات اللسانية في "معهد الدروس العليا " في باريس، كما درّس بصفة استاذ في السوربون منذ سنة ١٩٦٠ . ينظر: ميشال زكريا: الألسنية، علم اللغة الحديث، المبادئ و الأعلام ٢٥٢ .
- (١٥) نقلاً عن: ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ١٤ . ١٥ .
- (١٦) ينظر: ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ١٤ . ١٥ .
- (١٧) ادوارد سابير (١٨٤٨ . ١٩٣٩ م) تلقى علومه في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك حيث تخصص باللغة الألمانية، تناولت دراساته اللغات الاميركو . هندية، وحاز على الدكتوراه في الانثروبولوجيا سنة ١٩٠٩ م . ينظر: ميشال زكريا: الألسنية علم اللغة الحديث . المبادئ والأعلام ٢١٨ .
- (١٨) نقلاً عن: حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة ٢٨ . ٢٩ .
- (١٩) ينظر: محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ٥٢ . ٥٣ . و: حسن ظاظا: اللسان والانسان، مدخل إلى معرفة اللغة ٢٩ . ٣٠ .
- (٢٠) ينظر: ابن خلدون منشيء علم الاجتماع ٩٤، و: عبقریات ابن خلدون ١٨٤ .
- (٢١) ينظر: علي عبد الواحد وافي: ابن خلدون منشيء علم الاجتماع ٢، و: عبقریات ابن خلدون ١٨٢، للمؤلف نفسه .
- (٢٢) ينظر: ابن خلدون منشيء علم الاجتماع ٩٦، و: عبقریات ابن خلدون ١٨٦ .
- (٢٣) المقدمة ٥٩ . وقد نقل نحواً من ذلك السيوطي عن الكيا الهرايبي في تعليقه في أصول الفقه . ينظر: المزهري (١ / ٣٢)، ونقل السيوطي أيضاً عن الامام فخر الدين في: المحصول في علم اصول الفقه (١ / ١٩٦) . ينظر: المزهري (١ / ٣٤) .
- (٢٤) المقدمة ٧١٢ .
- (٢٥) المقدمة ٤٧ .
- (٢٦) المقدمة ٤٧ . ٤٨ .
- (٢٧) المقدمة، " فصل: في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر " ٧١٥ .
- (٢٨) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (عود) .
- (٢٩) ينظر: ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ٩٠ .

- (٣٠) ينظر: علي عبدالواحد وافي: اللغة والمجتمع ٦ . ٥ .
- (٣١) هو: انطوان مايه (١٨٦٦ . ١٩٣٦ م). التحق "مايه" سنة ١٨٨٦ م بـ"معهد الدراسات العليا" في باريس، حيث استمع إلى دروس "دو سوسور". وقد حلَّ محلَّه في تدريس الألسنية سنة (١٨٩٩ . ١٨٩٠ م). صبَّ جل اهتمامه على دراسة اللغات الهندو . أوربية الشرقية. ينظر: الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام ٢٨٠ .
- (٣٢) هو: جوزيف فندريس، كان عميداً لكلية الآداب بجامعة باريس وعضواً المعهد الفرنسي ورئيس الجمعية اللغوية بباريس. له كتاب "اللغة" انتهى من تأليفه سنة ١٩١٤م. ينظر: أول مقدمة مترجمي هذا الكتاب إلى العربية. ومقدمة المؤلف ٢٨ .
- (٣٣) ينظر: علي عبدالواحد وافي: اللغة والمجتمع ص ٦ التعليق ٣ .
- (٣٤) علم اللغة الاجتماعي ١٦ .
- (٣٥) علم اللغة الاجتماعي ٤٤ .
- (٣٦) المصدر نفسه ٤٢ .
- (٣٧) المصدر نفسه ٤٣ .
- (٣٨) لم أقف على ترجمته.
- (٣٩) ابن خلدون فلسفته الاجتماعية ١٢٥ . ١٢٦ .
- (٤٠) اخترتُ كلمة " تغير "، ولم أختر كلمة " تطور "، فهناك باحثون يرفضون كلمة التطور في هذا الإطار بوصفها تحمل دلالة الارتقاء، أي التغير إلى أفضل، وهذا حكم تقويمي، وهو غير ممكن في مجال التغير اللغوي فليست هناك صيغة أفضل من صيغة، وليس هناك صوت أفضل من صوت . ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنه تغير . ينظر: محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ٢٣ .
- (٤١) ينظر: ص ٢٢ من هذا البحث .
- (٤٢) المقدمة ٤٧ .
- (٤٣) المقدمة ٤٨ .
- (٤٤) المقدمة ٤٥٨ .
- (٤٥) ينظر: علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع ١٠٩ . ١١٠ .
- (٤٦) المقدمة ٤٥٨ . ٤٥٩ .
- (٤٧) قوله: "اللغات متوارثة"، يعني بالوراثة هنا اكتساب الإنسان لصفات باختيائه، و ليس ما تعنيه الكلمة في العصر الحديث من نقل الصفات الخَلقية (الجسدية) التي لا اختيار للإنسان فيها .
- (٤٨) المقدمة ٤٥٩ .
- (٤٩) المقدمة ٤٥٩ .
- (٥٠) المقدمة ٤٨ .
- (٥١) علم اللغة الاجتماعي ١٢٩ .
- (٥٢) المقدمة ٧١٥ .
- (٥٣) ينظر: ميشال زكريا: الملكة اللسانية، ٨٧ .

- (٥٤) المقدمة ٧١١.
- (٥٥) السيوطي: كتاب الاقتراح في علم أصول النحو ص ٤٤ . وبعد أن أورد السيوطي قول الفارابي بطوله علق عليه محققي كتاب الاقتراح بالقول (ص ٤٥ ، التعليق ٤٣): "راجع كتاب الحروف، نشر دار المشرق بيروت ص ١٤٥ ، وما بعدها، فالمعاني موجودة هناك وإن لم يكن النص مثبتاً بحرفيته مما يدل على أن السيوطي كان يلخص بتصرف أو أنه لم يقع على النسخة الكاملة لكتاب الحروف هذا".
- (٥٦) ينظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ١١٢ .
- (٥٧) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٩٢.
- (٥٨) فصول في فقه اللغة ٤٢.
- (٥٩) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٨٤.
- (٦٠) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٧ / ٧) (٧١).
- (٦١) ينظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة ٧٢ . ٧٤ .
- (٦٢) وحروف المسند ليست كحروف الابدجية التي نكتب بها، والحروف فيه منفصلة غير متصلة يستقل بعضها عن بعض، ولتمييز الكلمات بعضها عن بعض وضع الكتاب خطوطاً مستقيمة عمودية تشير إلى انتهاء الكلمة وإلى ابتداء كلمة جديدة. ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٨ / ٧) .
- (٦٣) ينظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة ٧٢ . ٧٤ .
- (٦٤) الخصائص (١ / ٣٨٦) .
- (٦٥) اللهجات العربية الغربية القديمة ص ٩٦.
- (٦٦) نقلاً عن: اللهجات العربية الغربية القديمة ٩٦ .
- (٦٧) أبو عمرو بن العلاء (٧٠ . ١٥٤ هـ) زيان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة. ينظر: وفيات الأعيان (٣ / ٤٦٦)، و: سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٧)، و: الأعلام (٣ / ٤١) .
- (٦٨) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، (١ / ١١) .
- (٦٩) الخصائص (١ / ٣٨٦) .
- (٧٠) الخصائص، (١ / ٣٨٧) .
- (٧١) ينظر: فقه اللغة ٧٩ .
- (٧٢) ينظر: فقه اللغة ٨٠ .
- (٧٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء (١ / ١١) .
- (٧٤) قال رابن (اللهجات العربية الغربية القديمة، ص ٨٨): "و ليس ثمة شك في أن الحميرية التي قصدها الهمداني كانت لغة حية مألوفة. و يستدل على ذلك من وصفه للوضع اللغوي السائد في البلاد. " .
- (٧٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب ٢٤٨ . ٢٥٠ .
- (٧٦) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام (٧ / ٦) .
- (٧٧) في اللهجات العربية ١٥ .
- (٧٨) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٣٩ .

- (٧٩) أبحاث في العربية الفصحى ٦٧.
- (٨٠) الكتاب (٥٧/١-٥٩).
- (٨١) أبو بكر محمد بن الحسن، الزبيدي الإشبيلي، نزيل قرطبة، كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، من كتبه: "طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس"، وكتاب "لحن العامة"، وكتاب "الواضح في العربية". ينظر: وفيات الأعيان (٤ / ٣٧٢).
- (٨٢) أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ١٣١ .
- (٨٣) ينظر: إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن ص ٢٣٥ . ٢٣٩ . و ينظر: درس تاريخي في العربية المحكية ص ١٦٤ . ١٦٥، للمؤلف نفسه .
- (٨٤) البيان والتبيين (١ / ١٣٤) . وهو لم يوص قارئه فقط بل كان يطبق آراءه هذه في كتبه، وأشار إلى مذهبه في نقل النادرة فقال الجاحظ (البخلاء، ص ٣٣): "وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً من جهته، فاعلموا أننا إنما تركنا ذلك لأن الإعراب يُبغض هذا الباب و يخرج من حده إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعالي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه " .
- (٨٥) المقدمة ٧١٢ .
- (٨٦) يعني ابن خلدون بـ " العرب " هنا وفي أماكن عديدة في المقدمة . البدو والإعراب وهم سكان البادية، المشتغلين بالرعي، وهم المقابلون للحضر وسكان الأمصار . ولا يقصد بـ " العرب " الشعب العربي . (ينظر: علي عبد الواحد وافي: عبقریات ابن خلدون ٢٣٨).
- (٨٧) دراسات عن مقدمة ابن خلدون ٤٦٠ .
- (٨٨) المقدمة ٧١٦ .
- (٨٩) المقدمة ٧١٦ .
- (٩٠) المقدمة ٧١٥ .
- (٩١) المقدمة ٧٤٤ .
- (٩٢) ينظر: المقدمة ٧٤٤ .
- (٩٣) المقدمة ٧١٥ .
- (٩٤) محمد عيد: في اللغة ودراستها ٥٤ .
- (٩٥) محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ٩٤ . وقال أيضاً (١٣ . ١٤): "والشيء الأساسي الذي يجعل نظاماً لغوياً ما يُصنّف باعتباره لهجة أو لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه. ومعنى هذا أنه ليس في بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها . بالضرورة . هذا التصنيف".
- (٩٦) المقدمة ٧١٣ .
- (٩٧) المقدمة ٧٤٥ . و ينظر: المقدمة ٧١٣ .
- (٩٨) المقدمة ٧٤٥ . ٧٤٦ .
- (٩٩) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ٢٠٨ .
- (١٠٠) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٢٠٧ .
- (١٠١) المقدمة ٧٤٤ . ٧٤٥ .

(١٠٢) المقدمة ٧٤٥ .

(١٠٣) المقدمة ٧٤٥ .

(١٠٤) ينظر: إحسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب ٦٢٩ .

(١٠٥) المقدمة ٧٤٥ .

(١٠٦) ينظر: إحسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب ٦٢٩ .

(١٠٧) محمود فهمي حجازي: اللغة العربية في العصر الحديث ٩ .

المصادر

- أبحاث في العربية الفصحى، غانم قدوري حمد، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان - الأردن، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥م.

- ابن خلدون فلسفته الاجتماعية، جوستون بوتول، ترجمة: غنيم عبدون، مراجعة: مصطفى فودة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، يونيو ١٩٦٤م.

- ابن خلدون منشيء علم الاجتماع، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .

- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.

- البخلاء، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تد: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ١٩٧١ م .

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تد: عبد السلام هارون، دار النشر: مكتبة الخانجي القاهرة: ط: ٧، ١٤١٨ هـ، ١٩٨٨م

- تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

- تاريخ النقد الادبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت . لبنان، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.

- الخصائص، ابن جني، تد: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان.

- دراسات عن مقدمة ابن خلدون، أبو خلدون ساطع الحصري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

- درس تاريخي في العربية المحكية، إبراهيم السامرائي، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م .

- صفة جزيرة العرب، الهمداني، تد: محمد بن علي الاكوع، وزارة الثقافة والشؤون الثقافية . دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.

- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، تد: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر ١٩٧٠م.

- عبقریات ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

- علم اللغة، مقدمة للقرئ العربي، السعران، القاهرة، ١٩٦٢ م .

- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، دار الغصون، لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ=١٩٨٨م.

- علم اللغة الاجتماعي، هدرسن، ترجمة: د. محمود عبد الغني عياد، مراجعة: د. عبد الأمير الأسم، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب، بغداد، ١٩٨٧م.

- علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطلبي، دار الكتب للطباعة و النشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

- . فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- . فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامري، دار العلم للملايين، بيروت، حزيران (يونيه) ١٩٧٨ م .
- . في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- . كتاب الاقتراح في علم اصول النحو، السيوطي، قدم له و ضبطه: د . أحمد سليم الحمصي و د . محمد أحمد قاسم، جروس برس، ١٩٨٨ م .
- . اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، محمود فهمي حجازي، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨ .
- . اللغة والمجتمع، علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة . القاهرة .
- . اللغة، فندرس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م.
- . اللهجات العربية الغربية القديمة، رابين، ترجمة: د. عبد الرحمن أيوب، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م.
- . اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٩٦م.
- . المخصص، ابن سيده، تد: لجنة إحياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت .
- . المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب،، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- . مقدمة ابن خلدون، تد: د. حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، شركة الوراق، ط٢، ٢٠١٢م.
- . الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية، لبنان، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م.